

مغامرات

شارلوك هولمز

تأليف : آرثر كونان دويل

عصبة ذوي الشعر الأحمر

The Red-Headed League

نشرت للمرة الأولى في مجلة ستراند آب 1891

مغامرات



ترجمة : سليمان حسون

أجيال الغد

لجيل عربي مثقف واع




ذكريات شارلوك هولمز

1- ذو الغرة الفضية
2- لغز الطرد البريدي
3- الوجه الأصفر
4- لغز موظف البورصة
5- لغز سفينة غلوريا سكوت
6- طقس موسغريف
7- لغز بلدة ريغيت
8- لغز الرجل الأحدب
9- المريض المقيم
10- المترجم اليوناني
11- وثائق المعاهدة البحرية
12- المشكلة الأخيرة

مغامرات شارلوك هولمز

1- فضيحة في بوهيميا
2- عصبة ذوي الشعر الأحمر
3- الهوية الغامضة
4- لغز وادي بوسكومب
5- بذور البرتقال الخمس
6- الرجل ذو الشفة المقلوبة
7- مغامرة العقيق الأزرق
8- مغامرة الشريط المرقط
9- مغامرة إبهام المهندس
10- مغامرة النبيل الأعزب
11- مغامرة تاج الزمرد
12- مغامرة منزل الأشجار النحاسية

ISBN 978-9933-14-822-5


أجيال الغد

سورية - دمشق - هاتف: 2256733 / 2262422 11 00963

ص.ب: 31453 - agyalalgadsyr@gmail.com

الطبعة الثانية
2015م - 1436هـ

مغامرات شارلوك هولمز

The Red-Headed League

عصبة ذوي الشعر الأحمر

تأليف: آرثر كونان دويل
ترجمة: سليمان حسون

أجيال الغد
سورية - دمشق - هاتف: 00963 11 2262422 / 2256733
ص.ب: 31453 - agyalalgadsyr@gmail.com
أشرف على التنفيذ الفني والطباعي دار الحافظ
daralhafez.net



مغامرات شارلوك هولمز

The Red-Headed League

عصبة ذوي الشعر الأحمر

تأليف: آرثر كونان دويل

نشرت للمرة الأولى في مجلة ستراند
آب 1891

ترجمة: سليمان حسون

مراجعة: لينا حجازي

مُقدِّمَة

تفوَّقت شخصية شارلوك هولمز على شهرة مخترعها سير آرثر كونان دويل وتجاوزت شهرتها ليس فقط لندن والجزيرة البريطانية، بل بلغت أقاصي العالم مع ترجمة أعمال ومغامرات هولمز إلى كل لغات العالم تقريباً. فلم يعد أحد من الشَّبان أو الشَّابات إلا ويعرف من هو ذلك المحقق اللامع الذّكاء الذي يعير انتباهاً إلى أدق التَّفاصيل عندما يضع قضية ما تحت مجهر فحصه الدَّقيق. ومن منا لا يذكر براعة هولمز في فك طلاسم أعقد الألغاز وأشدها غموضاً بطريقة تحليله المنطقية الشَّهيرة. تعتبر شخصية هولمز غير الحقيقية طبعاً واحدةً من أكثر الشَّخصيات تأثيراً في القراء خلال القرن العشرين نظراً لمخاطبتها عناصر أساسية في شخصية أي إنسان لتحفيز قدراته

العقليـة، وتفكـيره مـن أجـل الوصـول إلى حـل كل لغـز اشـتركت فيـه. وكأنَّهـا (أي شـخصية هولمـز) كانـت تحـث القـارئ دومـاً وتحفـزه للوصـول إلى الحقيقـة، أو حـل اللّغـز المطروح بشـكلٍ يجعل القـارئ يضطر لاسـتخدام كل ملكاته الفكريَّـة والعقليـة للوصـول مـع هولمز وواطسـون إلى حقيقة الأمـر، أو حتَّى أن يسـبقهما في التَّوصل للحقيقـة. الطَّريف في شـخصية هولمـز أنَّهـا وعـلى الرغم مـن أنَّها تقـدِّم لنا شـخصاً مـن لنـدن في نهايـة القـرن التَّاسـع عشر إلا أنَّهـا مـن خـلال طريقـة تعاملهـا مـع مـا حولهـا ومـن حولهـا تبـدو شـخصية أكثـر معـاصرة وكأنَّ كونـان دويـل نجـح بتحويلهـا إلى شخصية خارج إطار زمان محدد.

الأهـم مـن شـخصية هولمـز التـي تتسـيَّد كل قصـص كونـان دويل هي شـخصيَّة كاتبهـا التي تشي بشـخص عاش حياتـه كتجربـةٍ عظيمـةٍ تمكَّـن إلى أقصى حـد في تصويرها من خـلال شـخصية هولمـز، أحيانـاً وشـخصية د. واطسـون بصـورةٍ أكـبر وأكثر جـلاء. كما تمكّـن الفنان سـيدني باجيت مـن ابتـداع صـورة نمطيـة محـدَّدة ومشـوِّقة للسـيد هولمـز في

أذهاننا، مع مواكبة قصص كونان دويل برسومات جميلة جعلت صورة هولمز المرتدي لقبعته المميزة. وغليونه الجميل، صورة لا تمحى من أذهاننا.

آرثر كونان دويل
مؤلف شخصيَّة «شارلوك هولمز»

ولد الطبيب والروائي البريطاني السير آرثر كونان دويل في أدنبرة باسكتلندا سنة 1859، واشتهرت الشَّخصية التي ابتدعها «شارلوك هولمز» لرجل التَّحري الذَّكي القادر على فك ألغاز الجرائم، معتمداً على امكاناته الذِّهنية وقوة الملاحظة، واتباع طريقة الملاحظة والتَّحليل والاستنتاج بالاعتماد على العلم والمنطق، هذه الشَّخصية التي أصبحت أكثر شهرة من مبتدعها.

وقد مُثلت العديد من رواياته وقصصه، وتحوَّلت إلى أفلام سينمائية وأفلام كارتونية. وقد هجر السير آرثر دويل مهنة الطّب بعد أن مارسها ثماني سنوات، واتَّجه إلى الأدب، واستطاع أن يبدع فيه. بدأ حياته الأدبية سنة 1887 بكتابة القصص القصيرة للمجلات بهدف زيادة دخله. يقول

النَّاقد كريستوفر مورلي عن شارلوك هولمز: لم يحدث أبداً أن نالت شخصيَّة روائيَّة هذا الحظ من القدرة على امتاع القرَّاء والالتصاق بهم بمثل ما نالت شخصية شارلوك هولمز. فالسير آرثر دويل بعد أن مارس مهنة الطّب في عيادته التي لم يكن يزورها إلا النُّزر اليسير من المرضى، كان يجد أوقاتاً كبيرة من الفراغ، شغلها بكتابة القصص القصيرة، والتي لم تنل حظاً من النَّجاح في البداية.

إلا أنَّه وبعد نشر روايته الأولى عن شارلوك هولمز سنة 1887 أخذ نجمه في الصّعود. وبلغت مجموع القصص والرِّوايات التي كتبها السير آرثر دويل وظهرت فيها شخصية شارلوك هولمز حوالي 60 عملاً، جُلَّها من القصص القصيرة ، حتَّى أصبح السير آرثر دويل من أكثر كتَّاب القصَّة القصيرة دخلاً في عصره.

ونظراً لجهوده في دعم الحكومة البريطانية في حرب البوير «1899 – 1902» رقِّيَ إلى رتبة فارس سنة 1902.

شارلوك هولمز

شخصيَّة خياليَّة لمحقِّق من أواخر القرن التَّاسع عشر وأوائل القرن العشرين، ابتكرها الكاتب والطَّبيب الاسكتلندي سير آرثر كونان دويل، ظهرت الشَّخصية لأول مرة في 1887، واشتهرت الشَّخصية بمهارتها الشَّديدة في استخدام المنطق والمراقبة لحل القضايا، وقد يكون هو أشهر محقِّق خيالي في العالم، وهو بالفعل أحد أكثر الشَّخصيَّات الأدبيَّة المعروفة بشكلٍ عالمي.

كتب كونان دويل أربع روايات، وستاً وخمسين قصَّة قصيرة من بطولة هولمز، رويت جميعها من قبل صديقه الحميم وكاتب سيرته دكتور جون هـ. واطسون، باستثناء قصَّتين رواهما هولمز بنفسه، واثنتين رويتا بضمير الغائب.

وصف شارلوك هولمز نفسه بأنَّه محقِّقٌ استشاري خبير، يتم استدعاؤه لحل القضايا التي يثبُت أنَّها صعبة الحل جدَّاً على المحققين الرَّسميين (النَّمطيين). وتُخبر القصص أنَّه كان قادراً في العديد من المناسبات على حل القضايا بدون مُغادرة بيته، دون أن تهتم القصص بتقديم الكثير من

هـذه القضايـا الصَّغـيرة، مُركِـزَةً عـلى القضايـا المشـوِّقة التي تتطلَّـب منـه القيام بتحريك سـاقيه فعـلاً. يتخصَّص هولمز في حـل القضايـا الغريبـة مسـتخدماً قـواه الاسـتثنائية في المراقبة والتَّحليل المنطقي.

يُصوَّر هولمز بشـكلٍ دائم في الوسـائط الإعلاميـة المختلفة مرتديـاً قبعـة صائد الأيائـل وعباءته، مُدخناً غليوناً، وممسـكاً بعدسـةٍ مكـبرة. ويوصـف هولـمز بأنَّـه سـيدٌ إنجليـزي مـن الطِّـراز الفيكتـوري، طويـلٌ ورشـيقٌ، لـه عينـان حادَّتـان دقيقتـان، وأنـف معقـوف. بالرُّغـم مـن قامتـه النَّحيلـة فـإنَّ قدراتـه البدنيَّـة عاليـة. هـو ملاكـمٌ ومبـارزٌ ماهرٌ، وعـادة ما يتغلَّـب عـلى خصومـه في المـرات القليلـة نسـبيَّاً التـي اضطر فيهـا للاشـتباك جسـديَّاً. وفي مغامـرة إكليـل العقيـق يقـول هولـمز أنَّـه: (يمتلك قوة اسـتثنائية في أصابعه). أمَّـا في مغامرة المنـزل الفـارغ فيذكـر أنَّـه: (يمتلـك القليل مـن المعرفة حول المصارعـة اليابانيـة). كان يعيـش هولـمز في لندن شـارع بيكر عنوان B 221.

في أوَّل قصصـه، دراسـة بالقرمـزي، قُدِمَـت بعـض

المعلومات عن خلفية هولمز. قُدِم في 4 آذار 1881 على أنَّه طالب كيمياء مستقل، له مجموعةٌ واسعةٌ من الاهتمامات الجانبية، وتقريباً؛ فإنَّ كل هذه الاهتمامات تصب في مجرى مساعدته ليصبح خارقاً في حل الجرائم. في مغامرة أخرى مبكِّرة بعنوان مغامرة غلوريا سكوت، تتضح الأسباب التي دعت هولمز إلى العمل كمحقق خاص؛ امتداح والد زميله في الكلية الشَّديد لمواهبه وقدراته الاستنتاجيَّة.

في مغامرة المترجم الإغريقي، يقول هولمز: أنَّ جدَّته كانت شقيقة الرَّسام الفرنسي فيرنو. وفي دراسة بالقرمزي، يضع دكتور واطسون تقييماً لمهارات شارلوك:

ويعتبر شارلوك هولمز أيضاً مُحلِّل شفرات كفء، ويقول لواطسون: أنا متآلف مع كل أشكال الكتابة السريَّة بشكل جيد، وأنا نفسي مؤلف كتاب ثانوي حول الموضوع، حللت فيه مائة وستين شفرة منفصلة. حُلت إحدى الشَّفرات في مغامرة الرِّجال الرَّاقصين، التي استخدمت سلسلة من الأشكال الأوليَّة.

كما أظهر هولمز نفسه كأستاذ في التَّنكر بعد أن تنكر في

أشـكال مختلفـة خـلال مغامـرات: بحـار (علامـة الأربعـة) وسـائس خيـل، ورجـل دين (فضيحـة في بوهيميـا)، ومدمن أفيـون (الرَّجل ذو الشـفة المقلوبـة)، ومتبطل عـادي (مغامرة إكليـل العقيـق)، وكاهـن إيطـالي عجـوز (مغامـرة المشـكلة الأخـيرة)، وبائـع كتـب (مغامـرة البيـت الفـارغ)، وعامـل تمديـدات صحيَّـة أو سبَّاك (مغامـرة تشـارلز أغسـطس ميلفيرتـون)، ورجـل محتـضر (مغامـرة المحقِّـق المحتـضر)، وأخيراً متسول كلب آل باسكرفيل.

ويمكـن اعتبـار هولمـز رائـداً في علـم الأدلَّـة الجنائيَّـة الحديـث لاسـتخدامه هذا العلـم في قضاياه، مثـل: تعرفه على الفروقـات بـين أنـواع الآلات الكاتبـة لفضـح الاحتيـال (قضيـة هويـة). وتوصلـه إلى جريمـة باكتشـافه قطعتـين من البقايـا البشريـة (مغامرة صنـدوق الورق). وملاحظتـه لبقايا بـارود عـلى الضحيـة (مغامـرة ميـدان ريغـاتي). وملاحظتـه نـوع الرَّصـاص المسـتخدَم في جريمتـين (مغامـرة البيـت الفـارغ). واسـتخدامه بصمـة الأصابـع لتحرير رجـل بريء (مغامرة باني نوروود).

عاش شارلوك هولمز تاريخياً، في 221 B شارع بيكر، لندن منذ 1881، حيث أمضى العديد من سنواته المهنية مع صديقه الحميم دكتور واطسون، الذي تشارك الشقة معه قبل زواج واطسون في 1890. وكانت تشرف على صيانة الشقة والاهتمام بها السيدة مارثا هدسون، مالكة البناية. وقد وصف دويل الحي الذي يعيشان فيه بدقة، حتَّى أنَّ الكثيرين من القرَّاء زاروا شارع بيكر للبحث عن العنوان الخيالي.

ومن أبرز الشَّخصيات التي ظهرت في حياة شارلوك هولمز:

د. واطسون

واطسون؛ صديق هولمز الحميم، وكاتب سيرته الذَّاتيَّة،كما أنَّه يقوم بتسجيل معظم قضايا هولمز. وفي القصص الأخيرة ينتقد هولمز واطسون دائماً لأنَّه يروي القصص بشكلٍ مثيرٍ، مبتعداً عن الطَّريقة الموضوعية والمفصَّلة للتقارير التي تركز على ما يُسميه هولمز (العلم المحض). واطسون، بالمقابل، له سمعة مبررة بعض الشَّيء

كرجل يميل إلى النّساء، يتكلّم بحب عن بعض النِّساء، وفي بعض القصص الطَّويلة كثيراً ما يركِّز على جمال امرأة معيَّنة، وفي النِّهاية فإنَّه يتزوَّج واحدة بالفعل. ماري مورستان من رواية علامة الأربعة.

جيمس موريارتي
«عدو شارلوك هولمز الأزلي»

البروفيسور جيمس موريارتي (نابليون الجريمة)، هو في الأساس معلِّم الرياضيات الخصوصي لهولمز، كما أشير لذلك أيضاً في عمل بارينغ-غولد. وهو المشكلة الأساسية في العديد من قضايا شارلوك هولمز.

سقط مع هولمز أثناء صراعهما في شلالات راينباخ. ونوى كونان دويل أن تكون (المشكلة النِّهائية) التي حدث فيها ذلك، هي آخر قصة يكتبها عن هولمز، لكنَّ الرَّسائل الكثيرة التي استلمها مطالبةً بعودة هولمز أقنعته بالاستمرار في كتابة القصص. وفي (مغامرة المنزل الفارغ) أخبر كونان دويل أنَّ موريارتي وحده من سقط في الشَّلال، وأنَّ هولمز جعل العالم يعتقد بأنَّه مات أيضاً ليراوغ أتباع موريارتي.

آيرين أدلر

المرأة الوحيدة التي أبدى هولمز اهتماماً بها. وتبعاً لما قاله واطسون، فإنَّ هولمز كان يشير إليها دائماً باعتبارها (المرأة). بالرُّغم من أنَّ هولمز نفسه لم يستخدم هذا المصطلح، على أنَّه ذكر اسمها الفعلي عدَّة مرات في قضايا أخرى. وهي أيضاً واحدة من النِّساء القلائل اللائي ذُكرن في قصص شارلوك هولمز، بالرُّغم من أنَّها ظهرت فقط في قصة فضيحة في بوهيميا، إلا أنَّها غالباً ما اعتبرت المرأة الوحيدة التي كسرت تحفُّظ هولمز. وهي المرأة الوحيدة التي هزمت هولمز في لغز.

مايكروفت هولمز

الشَّقيق الأكبر لهولمز، الذي يمتلك قوى تحليلية تفوق حتَّى تلك التي يتمتَّع بها شقيقه الأصغر. وبالرُّغم من ذلك فإنَّ مايكروفت غير قادر على أداء عمل تحرٍ مشابه لعمل شارلوك، لأنَّه لا ينوي بذل أي جهد جسدي ضروري لحل القضايا.

ليس لديه طموح أو طاقة، ولن يتزحزح عن هذا حتَّى ليثبت حلوله الخاصَّة، ويُفضِل أن يُعتبر حله خاطئاً على أن يتحمَّل عناء إثبات صحة كلامه. كثيراً ما أخذت مُعضلاتي إليه، وحصلت منه على شروحات ثبت صحتها فيما بعد، غير أنَّه كان دائماً غير قادر على حل النّقاط العمليَّة.

عصبة ذوي الشعر الأحمر

في أحد أيام الخريف الباردة العام الماضي، قصدتُ منزل صديقي شارلوك هولمز لأجده منهمكاً بحديثٍ مع رجلٍ مُسنٍّ جدّاً يُميِّزه شعرٌ أحمرُ ناري يُزيِّنُ رأسه.

اعتذرتُ لقدومي دون موعد، ولأنّي أقاطع حديثهما وكنت أهمّ بالمغادرة حين نهض هولمز وألحَّ عليَّ أن أبقى في الغرفة، مغلقاً الباب لحسم الموضوع.

وقال: لقد أتيتَ في الوقت المناسب يا عزيزي واطسون، ثمّ توجّه بالحديث إلى العجوز قائلاً: إنّ هذا يا سيد ويلسون مساعدي وشريكي في العديد من القضايا التي تمّ حلّها بنجاح، ولا يوجد لدي أدنى شكّ بأنّه سيُقدِّم لنا الكثير من المساعدة القيّمة فيما يتعلّق بالقضية التي تُحدِّثني بأمرها أيضاً.

نهض الرَّجُل المُسنُّ عن كُرسيِّهِ وانحنى أمامي باحترام تحيَّةً منه لي، فيما تعلو وجهه نظرةَ الحيرة والتّساؤل.

قال هولمز: إنّي متأكِّد وأعرف تماماً يا عزيزي واطسون كم أنت مولعٌ بالقضايا الغريبة مثلي.

أجبتُ: نعم، بالتّأكيد، لطالما كنتُ مهتماً بالقضايا التي تتولّى أنتَ العمل عليها.

- لكن يجب أن تكونَ مقتنعاً بوجهة نظري أولاً، وإلا يجب أن أحاول جلب الدّليل تلو الدّليل لأتغلّب على وجهة نظركَ وتقر أنّي على حق. حسناً، إليكَ القضية.

لقد اتّصل بي السّيد جابيز ويلسون هذا الصّباح ليخبرني عمّا وصفه بالأمر المذهل، فأصغيتُ إليه، كالعادة، لبعض الوقت وسمعت قصته.

لا بد أنّكَ سمعتني أقول فيما مضى أنّ أغرب الأشياء وأكثرها تفرُّداً غالباً ما تتعلّق بالجرائم الصَّغيرة أكثر مما تتعلّق بالجرائم الكبيرة، وأحياناً حيث يكون هناك مجال للشك في وقوع الجريمة فعلاً، أي قبل الجريمة سواء كبيرة أو صغيرة.



واستناداً إلى ما سمعته، لا يمكنني أن أجزم الآن ما إذا كان الأمر يتعلّق بجريمة أم لا! إلا أنّ مُجريات الأحداث تبشِّر بواحدةٍ من أغرب القضايا التي تعاملتُ معها حتّى الآن.

هل يمكنك إعادة إخبارنا بالقصة يا سيد ويلسون لو سمحت؟

اعذرني إن طلبت منك إعادة رواية القصة، ليس لأنّ صديقي واطسون لم يسمع بدايتها فقط، بل لأنّ غرابة القصة تدفعني إلى التّمحيص في أدق التّفاصيل التي تقولها لنا.

أخذ عميلنا نفساً عميقاً معبِّراً عن أهميّته بالنسبة لنا، ثم أخرج من جيب معطفه جريدةً متَّسخةً ومجعّدة.

نظر إلى قسم الإعلانات مُنحنياً برأسه فوق الجريدة المفتوحة على ركبتيه.

وفيما كنت أراقبه، ورغم أنّي لم أزح نظري عنه، لم أجد فيه ما يلفت الانتباه على أنّه متميِّزٌ باستثناء لون شعره الأحمر وهيئته الحزينة وتعبير عدم الرضا الواضح على قسمات وجهه.

استقام السيد جابيز ويلسون في جلسته، واصبع يده

مصـوّبٌ إلى الصحيفـة، فيـما عيناه تركّـزان عـلى صديقـي هولمـز. وسـأل: قل بالله عليـك، كيف عرفـتَ كل المعلومات التـي تملكها حولي؟ كيف عرفـتَ مثلاً أنّي كنـتُ أزاول عملاً يدوياً؟ لأنّ هذا صحيح، فقد كنت أعمل نجاراً للسفن.

- مـن يديـكَ يا عزيـزي. فعضلاتُ ذراعـك الأيمن أكبر وأقـوى مـن الأيسر بكثير. وهذا يعنـي أنّك كنت تسـتخدمه دوماً بعملٍ يدويٍ مجهد ممّا جعل عضلاته أكبر.

- وماذا عن الصين؟

- مـن السَّـمكة المنقوشـة فـوق معصمك الأيمـن مباشرةً والتـي لا تتوفّـر إلا في الصـين. فقـد قمـتُ بدراسـةٍ صغـيرةٍ حـول العلامـات المنقوشـة في الوشـم، وسـاهمتُ في أدبيـات هـذا الموضوع بنفسي. إضافةً لذلـك، فإنّي عندمـا أرى عملةً معدنيّـةً صينيـة تتدلّى من سلسـلة سـاعتك، يصبـح الموضوع أكيداً.

ضحـك السـيد ويلسـون بشـدّة وقـال: اعتقـدتُ للوهلة الأولى أنّـه ذكاءٌ منـك أن تُخمّـن، لكـن الأمر ليـس كذلك كما أرى.



أجاب هولمز بهدوء: أنت تجعلني أندم لأني شرحتُ لك كيف اكتشفتُ الأمر.

ألم تجد الإعلان يا سيِّد ويلسون بعد؟

أجاب ويلسون واضعاً إصبعه الأحمر الثّمين عند منتصف العمود في صفحة الجريدة: ها هو، هكذا بدأ كل شيء.

اقرأه بنفسك يا سيدي...

تناولت الجريدة وبدأتُ أقرأ:

إلى عصبة ذوي الرّأس الأحمر...

نزولاً عند رغبة المرحوم اللّبناني الأصل إسحاق هوبكنز من ولاية بنسلفانيا، الولايات المتحدة الأمريكية، تمّ فتح باب التّرشيح لضم عضو جديد إلى العصبة مقابل أجر قدره أربعة باوند أو جنيه في الأسبوع، مقابل تأدية بعض خدمات اسمية بحتة.

يمكن لكل الرِّجال الذين يحملون شعراً أحمراً على رؤوسهم ويكونون سليمي العقل والجسد والذين يبلغون من العمر 21 عاماً وما فوق أن يُرشحوا أنفسهم.

تُسلّم الطلبات شخصياً يوم الاثنين في تمام الساعة 11 للسيد دونكان روس في مكاتب العصبة الواقعة في 7 بوبس كورت، شارع فليت.

صحتُ بعد قراءة الإعلان لمرتين: لكن ما معنى كل هذا؟

تحرّك هولمز في كرسيه كما اعتاد أن يفعل عندما يكون مُستغرقاً بالتّفكير ثمّ قال: أرجو أن تخبرنا عن نفسك ياسيد ويلسون، عن عائلتك، عن تأثير هذا الإعلان عليك.

دكتور واطسون، لو سمحت، يُرجى تدوين اسم الصحيفة التي ورد فيها الإعلان، إضافةً إلى رقم العدد وتاريخه.

مورنينغ كرونيكل، 27 نيسان 1890. أي قبل شهرين. والآن تفضَّل بالكلام يا سيد ويلسون.

قال جابيز ويلسون وهو يمسح جبينه: كما أخبرتُكَ ياسيِّد هولمز، أنا أملك محل رهنيات صغير في ميدان كوبروغ بالقرب من وسط المدينة.



إنَّـه دكّانٌ صغير يعمـل معـي فيـه اثنـان مـن المعاونـين، لكنّـي اسـتغنيتُ عـن أحدهـم فيـما الآخـر وافق عـلى تقاضي نصـف الأجـر الآن بسـبب ضيـق الأحـوال، ولأنّـه يريـد أن يصبح خبيراً بالمهنة.

سأل هولمز: وما اسم ذلك الشّاب؟

- اسـمه فينسـنت سـبولدينغ. يمكنه أن يتحسّن في العمل كثـيراً ويجنـي ضعـف ما أدفعه لـه حاليـاً، لكنّـه راضٍ بحاله، لذلك أبقيته على حاله.

- لا شـك أنّ معاونـك هـذا ممتـاز، لكنّـه غريـب مثـل الإعلان الذي جلبته لنا.

- لكن لديه بعض السّلبيات.

- إلا أنّه ما زال يعمل لديك حتّى الآن، أليس كذلك؟

- نعـم يا سـيدي، هـو إضافـة إلى فتاة في الرابعـة عشر من عمرها.

إنّها تتولّى تدبير الأمور المنزلية والطّبخ وما إلى ذلك.

هـذا كل مـا لـدي في منـزلي، لأنّي أرمـل ولم يكـن لدي في

يوم من الأيام أسرة.

لقد وصلني هذا الإعلان إلى مكتبي قبل ثمانية أسابيع، وقد حمله لي معاوني قائلاً: كنت أتمنّى لو أنّي خلقت وشعر رأسي أحمر يا سيد ويلسون.

فسألته: لماذا؟

أتساءل لماذا؟ هناك شاغر متوفر في عصبة ذوي الشعر الأحمر، وهذا يعتبر ثروة بحد ذاته لأي شخص يملأ الشّاغر. أعتقد أنّ المرشحين قلّة مقارنةً بعدد الشَّواغر.

والواقع يا سيد هولمز، أنا رجل لا أخرج من منزلي كثيراً، وليس لدي علاقات اجتماعيّة كثيرة كما أنّ عملي يأتي إلي ولا أذهب إليه.

حرَّك هولمز عيناه بانتباه وقال: ألم تسمع قبل هذا الإعلان بعصبة ذوي الشعر الأحمر أبداً.

- لا.

- غريب. مع أنّك مؤهّل بجدارة لتكون أحد أعضائها.



- أريد أن أصدِقكما القول بأنّ أكثر ما لفت انتباهي وجعلت ذهني يتركّز على الإعلان هو تراجع أعمالي خلال السَّنوات القليلة الماضية.

لذلك اعتقدتُ أنَّه لن يضرني جني بعض مئات إضافية.

عندها سألته: لكن ما لا شك فيه أنّ ملايين الأشخاص سيتقدَّمون لملء الشّاغر المعلن عنه.

أجاب: ليس هناك مثل هذا الرقم، لأنّ التّرشيح محصور بأبناء لندن البالغين.

لاشك أنّكما لاحظتما لون شعري المميّز.

لقد كنت أملك فرصة ممتازة للفوز بالشّاغر.

بما أنّ فينسنت بولدينغ مطّلع على الأمر، طلبت منه إقفال المحل ومرافقتي لأجرِّب حظي بهذه المسألة.

عندما وصلت هناك رأيت مشهداً لن يتكرّر أبداً ياسيد هولمز!

لقد ازدحم وسط المدينة بأصحاب الشعر الأحمر الذين

تدفقوا إلى المكان من كل أرجاء المدينة استجابةً للإعلان.

لقد اكتظ شارع فليت بأصحاب الرؤوس ذات الشعر الأحمر من كل تدرجات اللون الأحمر، اللّيموني، البرتقالي، القرميدي، الطيني لكن لم يكن يوجد إلا قلّة قليلة من أصحاب الشعر الأحمر النّاري الحقيقي.

لقد كانت السلالم المؤدية للمكتب مليئة بالنّاس الصاعدين إليه، وكلهم أمل فيما المغادرين منه يملأ عيونهم اليأس والحسرة على ضياع الفرصة.

المهم تمكّنا من شق طريقنا وسط الازدحام الشديد إلى أن وصلنا بعد فترة إلى المكتب.

قاطع هولمز عميله مع توقف الأخير لبرهةٍ من أجل تذكُّر تفاصيل ما حدث معه بدقة. وقال هولمز: يا لها من تجربةٍ مثيرةٍ للاهتمام.

- عندما دخلنا، كان المكتب خالياً من أي شيء إلا كرسيين خشبيين وطاولة من خشب الصنوبر، جلس خلفها رجلٌ صغير ذو رأس لون شعره أشد احمراراً من لون شعري. وعندما حان دورنا، أبدى الرجل اهتماماً بي

أكثر من غيري.

فنهض وأغلق باب المكتب بعد بقائنا لوحدنا ليتحدّث معنا على انفراد كما بدا لي.

فقال معاوني له: أقدِّم لك السيد جابيز ويلسون. إنّه يريد التّرشح لعضوية العصبة.

أجاب الرجل: إنه أفضل مرشح! إنه يطابق كل الشروط المطلوبة. لم أر ما يشبه هذا منذ وقت طويل جداً.

تراجع إلى الخلف قليلاً وراح يتأمّل شعري لدرجة شعرت معها بالخجل، ثمّ تقدّم فجأةً وشدّ على يدي مُصافحاً ومُهنّئاً بحرارة نجاحي بالانضمام إلى العصبة.

ثمّ أمسك شعري بيديه وأخذ يشده بقوةٍ لدرجة أني صرخت من الألم.

بعد ذلك توجّه إلى النّافذة وصاح في الجمهور المكتظ خارجاً بأنّ الشاغر لم يعد متوفراً، فتعالت صرخات الغضب والاستهجان وسرعان ما تفرّق الحشد الكبير، ولم يبقَ من الرؤوس الحمراء سوى رأسي ورأس المدير في المكتب.



قام المدير بتقديم نفسه لي وقال: أُدعى السيد دونكان روس وأنا أحد المستفيدين من الصندوق الذي تركه لنا ذلك المحُسن الخيّر.

هل أنت متزوج يا سيد ويلسون؟

هل لديك أسرة؟

أجبت بالنّفي ليُصاب بخيبة أمل كما بدا على وجهه، وقال: يا إلهي!

إنّ الهدف الرّئيسي من الصندوق هو وجود عدد أكبر من أصحاب الشعر الأحمر، ويؤسفني أنّكَ لا زلت أعزب.

لقد أقلقني هذا الكلام يا سيد هولمز، واعتقدتُ أنّي فقدتُ فرصة ربح الشّاغر ، لكنّه قبل ترشيحي للشّاغر للتو.

ثم سألني: متى يمكنك مباشرة العمل؟

فأجبته: كم تبلغ ساعات الدّوام؟

قال: من العاشرة حتّى الثانية.

- حسناً، وماذا عن الأجر؟

- أربع باوندات في الأسبوع.

- وما هي طبيعة العمل؟

- عملٌ شكلي بحت بدون جهد عضلي. عليك ملازمة المكتب أو البناء طوال فترة الدّوام.

- لكن ماذا سأعمل؟

- ستقوم بنسخ الموسوعة البريطّانية لاسيما المجلد الأول منها بأسرع وقت. عليك أن تحضِّر بنفسكَ الأقلام والحبر والورق، فيما نؤمِّن لك نحن الطّاولة والكرسي. هل يمكنك مباشرة العمل غداً؟

أجبت: طبعاً.

- إذن، إلى اللِّقاء غداً يا سيد ويلسون.

بعد المغادرة أمضيتُ كل اليوم في التّفكير بالأمر، إلى أن بدأت أفكِّر بعدم المضي قدماً بالموضوع، لكن فينسينت سبولدينغ بذل كل ما بوسعه لإقناعي بجدوى وفائدة الموضوع، كما أنَّه عمل على التَّخفيف عني بالمرح قليلاً.

وقرّرت رغم كل الغرائب التي صادفتها يوم أمس أن

أجرِّب حظي وألتحق بالعمل الجديد.

كانـت مفاجـأتي كبـيرة ومفرحة عندمـا وجـدتُ في اليوم التّـالي أنّ كل شيء عـلى مـا يـرام، فقـد كان هنـاك طاولـة مخصّصـة لي وجاهزة، كما حضر السّـيد دونـكان روس ليتأكّد من سير العمل بانتظام.

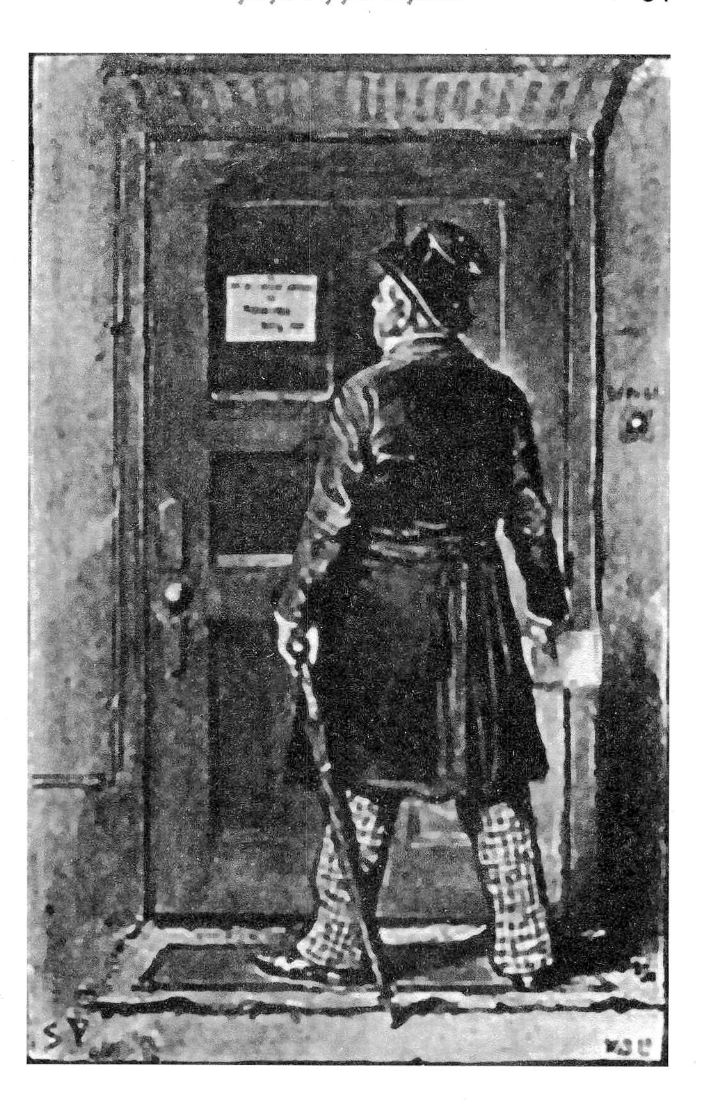
وقـد أشـار عـلي أن أبـدأ عمـلي في التّسـجيل مـن حـرف الألـف ثمّ غـادر. وكان يعود بـين الفينة والأخـرى ليتأكَّد أنَّ كل شيء على ما يرام.

واسـتمرّ الأمـر على هذا المنـوال يوماً بعد الآخر وأسـبوعاً يليـه أسـبوع، حيـث كنت أصـل في تمـام العاشرة وأغـادر في الثّانية بعد الظهر.

وبمـرور الوقت أصبحـت زيارات السّـيد روس التَّفقدية تتقلـص تدريجيـاً إلى أن انقطعـت زيارتـه لي نهائيـاً. ورغـم ذلك لم أكن لأتجرّأ على التَّغيب عن عملي ولو للحظة.

وبعـد ثمانيـة أسـابيع كنـتُ قد كتبـت خلالها عن رؤسـاء دور العبادة ورماية النّبال والدروع والهندسة.. إلخ.

لكن فجأة انهار كل شيء... كل شيء؟!



- نعم يا سيدي...

فصباح هذا اليوم تحديداً، ذهبت إلى عملي كالمعتاد في العاشرة لأجد الباب مقفلاً، وقد تمّ تعليق بطاقة صغيرة عليه كُتب عليها.

وأخرج بطاقة صغيرة الحجم من جيبه كُتب عليها:

لقد تمَّ حلَّ عصبة ذوي الرؤوس الحمراء 9 تشرين الأول 1890.

قرأتُ أنا وشارلوك العبارة المقتضبة بتمعنٍ لننفجر في الضَّحك معاً.

عندها صاح عميلنا: علام تضحكان؟ إذا كنتما لا تجيدان سوى الضحك، فالأجدى أن أقصد مكان آخر بهدف المساعدة.

ربت هولمز على كتف الرجل وأجابه مُطمئناً بعد أن أعاده إلى كرسيه الذي نهض عنه: لا، أبداً. لن أدع قضيتك تخرج من بين يدي مهما كان الثّمن.

لكن هناك شيء مضحكٌ فيها. هل يمكنك أن تخبرني ماذا فعلتَ حين وجدت البطاقة على الباب؟

- لقد صُعقت يا سيدي، ولم أعرف ماذا سأفعل.

بعد ذلك توجَّهتُ إلى مالك البناء الذي يقيم في الطّابق الأرضي وسألته ماذا حل بعصبة ذوي الشعر الأحمر. فقال لي أنّه لم يسمع بهذه العصبة من قبل.

ثمّ سألته عن السّيد دونكان روس. فأجاب: آه، هل تعني ذاك الرجل الذي يُدعى ويليام موريس. إنّه شخصٌ يعيش على الصّدقات، وكان يستأجر الغرفة لدي ريثما يجهِّز مكان عمله الجديد. لقد رحل يوم أمس.

سألته: إلى أين رحل؟

فقال: إلى مقر عمله الجديد.

لقد أعطاني العنوان...

إنّه 17 شارع الملك إدوارد بالقرب من كنيسة القديس بولس.

وعندما وصلت إلى العنوان، لم أجد أحداً قد سمع بالسيد ويليام موريس أو السيد دونكان روس.

فسأل هولمز مستفسراً: وماذا فعلت عندها؟

- لم أكـن راغبـاً بفقدان مثل هذه الوظيفـة الرّائعة وقرّرت أن أبـذل ما بوسـعي للحفـاظ عليها. لذلك قصدتُـك بعد أن سمعت عن براعتك ونصائحك القيّمة.

أجاب هولمز: لقد قمتَ بالعمل الصّائب.

إنّ قضيتـك مثيرةٌ جـدّاً للاهتمام وسـوف أكـون مسروراً بالعمل عليها.

أسـتطيع أن أسـتنتج أنّ قضيتـك تحـوي مسـائل أخطر مما يبدو ظاهراً، وربما تكون سبباً أو مقدّمة لأشياء خطيرة.

فـردّ السـيد جابيـز ويلسـون قائـلاً: حقـاً خطـيرة؟! ألا يكفي أنّي خسرت أربع باوندات في الأسبوع؟

قـال هولـمز: بخصوصـك أنـت، أعتقـد أنّ ثروتـك قـد زادت جـوالي 30 باونداً، إضافـةً إلى حصولك على معلومات قيّمة نتيجة العمل على نسخ وتدوين الموسوعة البريطانيّة.

في هذه الحالة أنت لم تخسر شيئاً، أليس كذلك؟

- هـذا صحيـح يـا سـيّدي، لكنّـي أرغـب بمعرفـة مـاذا حدث للعصبة؟

ومن هم فعلاً؟

وما الهدف من هذه المزحة، إذا كانت كذلك؟ إنّها مزحة كلفتهم اثنين وثلاثين باونداً!.

- سنحاول إلقاء الضّوء على كل هذا الغموض، لكنّي دعني أسألك أولاً سؤالاً أو سؤالين يا سيد ويلسون.

منذ متى تعرف ذلك المعاون الذي نبّهك إلى الإعلان؟

- قبل شهر من بدء الموضوع.

- وكيف تعرّفتَ به؟

- وضعتُ إعلاناً وتعرّفت عليه بعد أن قرأه وجاء ليحصل على العمل.

- هل كان المرشّح الوحيد؟

- لا، كان هناك حوالي عشرة أشخاص غيره.

- لماذا وقع اختيارك عليه هو تحديداً؟

- لأنّه كان مستعداً لبدء العمل والقبول بالأجر الزّهيد الذي كنتُ أعرضه.

- هل يمكنك أن تصف لي فينسنت سبولدينغ هذا؟

- إنّه رجلٌ قصير القامة، قوي البنية، أصلع وهناك بقعة ما على رأسه الأصلع.

عدّلَ هولمز جلسته على كرسيه وأخذت الحماسة تدب في أوصاله وهو يقول: هل لاحظتَ أنّ أذنيه كانت مثقوبتين بحيث يمكنه وضع أقراط فيهما؟

- نعم يا سيِّدي. قال لي أنَّ الغجر فعلوا ذلك له عندما كان صغيراً.

أجاب هولمز وهو يفكّر بعمق: حسناً، هل ما زال يعمل لديك حتّى الآن؟

- طبعاً. لقد تركته في المحل قبل أن آتي إلى هنا للتّو.

- وهل يهتم بأعمالك أثناء غيابك؟

- نعم، إنّه يؤدِّي عملاً جيِّداً.

- شكراً يا سيد ويلسون. أتمنّى أن أتوصّل إلى حل يوضِّح كل شيء متعلِّقٌ بهذه القضيّة بعد يومٍ أو اثنين.

اليوم هو السبت، وربما أكون قد توصَّلتُ إلى شيءٍ مفيد بحلول الاثنين.

وبعد أن غادر ضيفنا، سألني هولمز: إذن يا واطسون، ما رأيك بكل ما سمعت؟

أجبتُ بصراحةٍ: لا شيء، لا يوجد لدي رأي بعد في الأمر. إنَّ القضيّة بالنِّسبة لي غامضةً تماماً.

فعلّق هولمز قائلاً: إنّ أغرب الأمور هي أقلّها غموضاً في معظم الأحيان.

فسألته: وما الذي ستفعله حيال هذه القضية؟

أجاب: أنوي أن أدخِّن وأتمنّى أن لا تقطع سلسلة أفكاري بحديثك قبل مرور خمسين دقيقة اعتباراً من الآن.

ثمّ تقوقع على كرسيه وأغمض عينيه وهو يُدخِّن تبغ غليونه. وسرعان ما اكتشفت أنّه قد نام، وشعرتُ أنا نفسي بالنُّعاس.

فجأةً انتفض هولمز واقفاً وكأنّه قرَّر تنفيذ قرار مهم اتّخذه للتو. وقال: هل ترافقني إلى حفل يقام في قاعة القديس جايمس بعد ظهر اليوم.

أتعتقد أنَّ مرضاك يمكن أن ينتظروا لبضع ساعات أخرى؟



- لست مشغولاً اليوم والعمل لا يستحوذ على كل وقتي.

- ضع القبعة على رأسك إذن وهيا بنا.

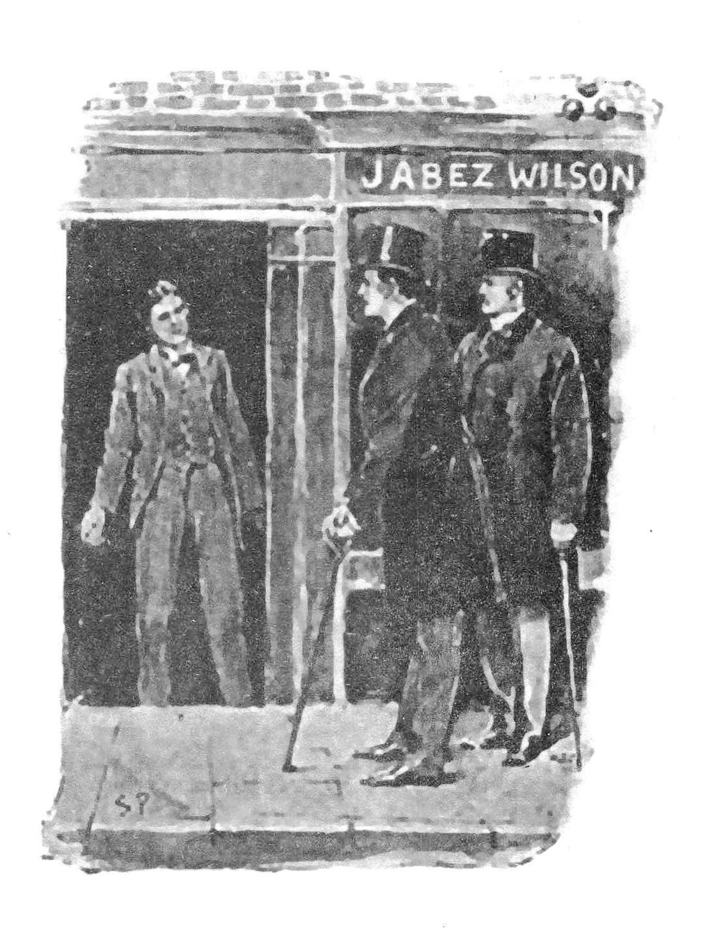
بعد حديثنا بقليل وصلنا إلى ميدان ساكس كوبورغ، حيث جرت أحداث القصة الغريبة التي سمعناها هذا الصباح.

ولمحنا لوحةً بُنيّةَ اللّون مكتوبٌ عليها بأحرف بيضاء اسم جابيز ويلسون عند زاوية أحد المنازل. كانت تُشير إلى المكان الذي كان يعمل به صديقنا ذي الشعر الأحمر.

توقّف هولمز أمام اللَّوحة وتأمّلها جيِّداً، ثمَّ أدار رأسه وتأمَّل الشارع ليعود بنظره إلى مقر عمل ويلسون مرةً أخرى.

ثمّ سار ببطء إلى نهاية الشارع، وعاد إلى مكانه أمام محل عمل ويلسون وهو ينظر إلى المنازل.

ثمَّ تقدَّم من مكان عمل المسترهن أو صاحب مكتب الرَّهن وقرع الجرس، ففتح الباب على الفور شاب ودعاه إلى الدخول.


JABEZ WILSON

- أشكرك، لكنّي أُريد أن أعرف من أين يمكن أن أصل إلى شارع ستراند.

أجاب معاون ويلسون الذي فتح الباب: ستصل إليه إذا انعطفتَ يميناً عند المفرق الثّالث ثم الرّابع يساراً. وأقفل الباب.

وعندما عاد هولمز قال لي: إنّه شابٌ ذكي. اعتقد أنّه رابع أذكى رجل في لندن إن لم يكن الثّالث.

أجبتُ: من الواضح أنّ هناك علاقة غامضة بين معاون السيد ويلسون وعصبة ذوي الشّعر الأحمر. أنا واثق أنّك أتيتَ عمداً إلى هنا كي تراه.

- لم آت لأراه هو.

- ماذا إذن؟

- أتيت لرؤية ركبَتي بنطاله.

هيا يا عزيزي واطسون... لقد حان وقت المراقبة وليس الكلام.

إنّنا جاسوسان على أرض العدو الآن.

لدينا بعض المعلومات عن ميدان ساكس كوبروغ، دعنا نستكشف ممراته السريّة ونعرف خفاياه.

انعطفنا عند الزّاوية في ميدان ساكس كوبروغ فدخلنا شارع يختلف اختلافاً جذرياً عن الشارع الذي كنا فيه.

كان شارعاً رئيسيّاً تتفرَّع منه كل الشّوارع المؤدية إلى إلى وسط المدينة شمالاً وغرباً.

كان الشّارع مكتظاً بكثير من النّاس بسبب الحركة التِّجارية ذهاباً وإياباً، وبدت قارعة الطّريق سوداء متّسخة لكثرة المشاة عليها.

قال هولمز وهو يقف عند الزَّاوية متأمِّلاً الشارع: دعني أرى جيداً.

أريد أن أحفظ تسلسل المنازل هنا. إحدى هواياتي حفظ خريطة لندن عن ظهر قلب.

بعد ذلك ذهبنا إلى الحفل في القديس جيمس، وبعد أن غادرنا الحفل قال: لاشك أنَّك تود العودة إلى البيت يادكتور.



- نعم، أود العودة إلى البيت الآن.

- أنا أيضاً سأكون مشغولاً في السّاعات القادمة، فقضية ميدان كوبروغ هذه تبدو خطيرة.

- وكيف عرفتَ ذلك؟

- هناك من يجهز لارتكاب جريمة فظيعة. وكل شيء يدل على أنّنا سنصل في الوقت المناسب لإفشالها، لكن ولأنَّ اليوم هو السبت أي عطلة، فإنّ الأمور معقّدة قليلاً. سوف أحتاج إلى مساعدتك هذه اللّيلة.

- متى؟

- في العاشرة.

- سأكون في تمام العاشرة في شارع بيكر.

- ممتاز... أرجو أن تتوخى الحذر يا دكتور، فقد نواجه خطراً ليس بالجَدي لكنَّه قد يَستدعي أن يكون معك مسدسك الحربي الصَّغير في جيبك عندما تأتي.

بعد ذلك رفع يده مُحيياً واختفى في ازدحام النَّاس بالشّارع.

وانتابني شعورٌ بالإحباط بعد أن تركني هولمز لأنّي شعرت كم أنا بعيد عن مستوى ذكائه.

ففي هذه القضية، سمعتُ ورأيتُ كل ما سمعه ورآه، ومع ذلك تمكّن هو من معرفة حقيقة ما حدث مع ويلسون، وما سيحدث، فيما أنا لا أدري ما حدث أو ماسيحدث.

وبدأت أتساءل عن طبيعة المهمة اللّيلية وضرورة حمل السلاح أثناءها. وأين سنذهب هذه اللّيلة ولماذا؟

لقد أشار هولمز إلى أنّ ذلك المعاون صاحب الوجه اللّطيف شخصٌ رائع، رجلٌ قادرٌ على لعب دور ببراعة في لعبة معقّدة.

بعد ذلك أشحتُ بيدي لأنّي لم أنجح بتفسير كل هذا، لذلك قرّرت انتظار اللّيلة علّها تُعطيني الجواب الشّافي لكل أسئلتي.

غادرتُ منزلي في التّاسعة والربع، وتجاوزت الحديقة ثم شارع أوكسفورد، حتّى وصلتُ إلى شارع بيكر حيث يُقيم هولمز.

دخلتُ الغرفة فوجدتُ هولمز يتحدَّث مع شخصين، عرفتُ أحدهما وهو رجلُ الشرطة بيتر جونز، أمّا الثّاني فكان رجلٌ يتميَّزُ بوجهٍ طويلٍ وحزين.

قال هولمز عندما رآني أدخل: جيّد، أصبحنا جميعاً هنا! أعتقد أنّك تعرف السيد جونز من اسكوتلانديارد ياواطسون، أليس كذلك؟

كما أُعرِّفُك على ميري ويذر الذي سيشترك معنا في هذه القضيّة اللّيلة.

عندما انطلقنا كان شارلوك صامتاً حيث جلس في المقعد الخلفي للعربة يُردِّد ألحان أغنيةٍ كُنا قد سمعناها بعد الظهر.

عبرنا شوارع وحارات كثيرة إلى أن وصلنا أخيراً إلى شارع فارنغدون.

بعد ذلك قال رفيقي: نكاد نصل.

إنّ ميري ويذر هذا مدير مصرف، وهو مهتم شخصيّاً بهذه القضية. أعتقد أنّ وجود جونز سيكون ضروريّاً ومفيداً أيضاً. وهم في انتظارنا.

كنا قد وصلنا إلى التّقاطع الذي كنّا عنده صباحاً، فتفرّقت عرباتنا وتبعنا إرشادات شارلوك هولمز، وسرنا في ممرٍ ضيّقٍ، ثمّ انفتح بابٌ جانبي أمامنا.

ورأينا هناك ممرّاً صغيراً سلكناه فقادنا إلى بوّابةٍ حديديّةٍ ضخمةٍ مفتوحة تؤدّي إلى بوابةٍ أخرى، لكنّها رائعة الجمال والهندسة.

توقّف السيد ميري ويذر ليُضيءَ قنديلاً ثمّ قادنا عبر ممرٍ يعبقُ برائحة رطوبة التُّراب، بعد اجتياز بابٍ ثالثٍ وصولاً إلى قبو أو سردابٍ كبيرٍ مُلء على جانبيه بالعلب الكرتونية والصّناديق.

قال هولمز بصرامةٍ موجّهاً حديثه إلى السَّيد ميري ويذر: أتمنّى أن تبقى هادئاً وألا تتدخّل في الموضوع.

وافق السّيد ميري ويذر على مضض، بينما ركع هولمز على الأرض وهو يقول: أمامنا ساعة على الأقل لأنّهم لن يفعلوا أي شيء أو يُقدِموا على أي خطوة قبل أن يتأكّدوا أنَّ السيد ويلسون يغط في نومٍ عميق في سريره.

بعد ذلك لن يُضيّعوا دقيقة واحدة لأنَّهم بحاجةٍ إلى

كل ثانيةٍ ليتمكّنوا من الفرار بعد تنفيذ ما يريدونه.

نحـن الآن كما ترى يا د. واطسـون في وسـط المدينة ضمن قبـو إحـدى أبـرز المصـارف في لنـدن، والسـيد مـيري ويـذر واحـدٌ مـن أكبر المـدراء، وسـيشرح لكَ سـبب اهتـمام أخطر المجرمين في لندن بهذا القبو.

همـس المديـر مـيري ويـذر شـارحاً الأمـر: إنّـه احتياطـي الذَّهب الفرنسي الذي نملكه.

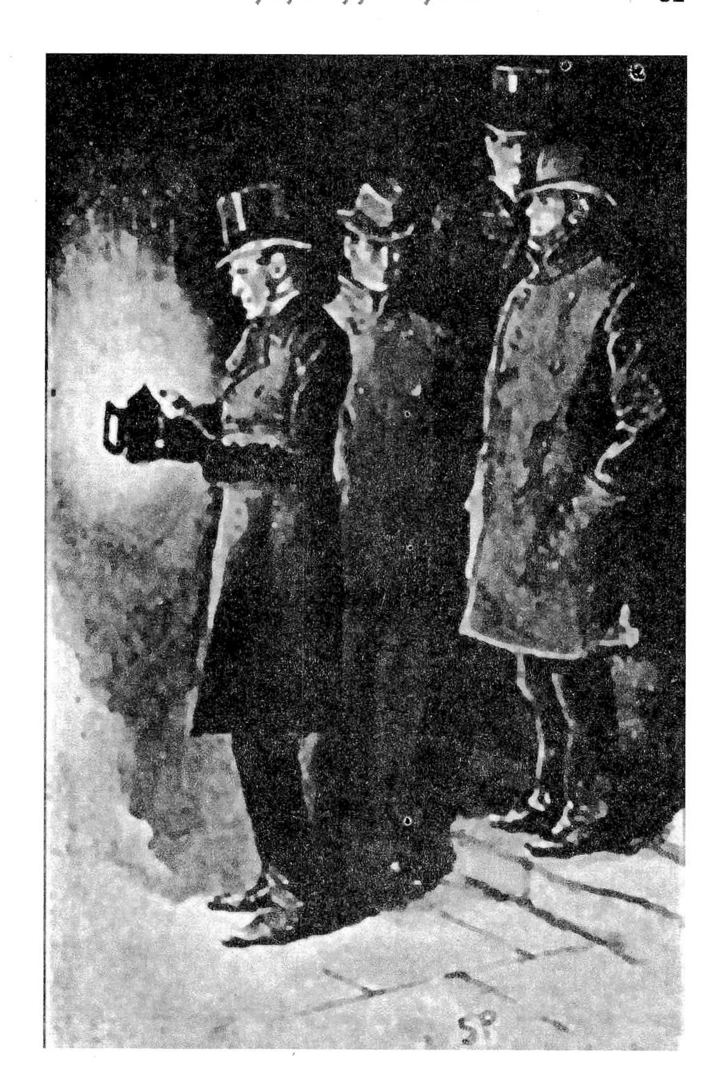
لقـد تلقينـا عـدّة تحذيـرات وإنـذارات حـول إمكانيـة تعرضنا للسّرقة.

- ذهبكم الفرنسي؟!

- نعم.

لقـد قمنا بزيـادة احتياطنـا من الذَّهـب مؤخَّـراً واقترضنا مـن أجـل ذلـك ثلاثـين ألـف قطعـةٍ ذهبيَّـةٍ مـن المـصرف المركزي الفرنسي.

ومـن المعروف أنَّـه لم يُسـعفنا الوقـت لتفريـغ الذّهب من الصَّناديق فبقيت في القبو.



قال هولمز: لقد حان الوقت لنضع خطّةً لنا. أتوقّع أن تنطلق الأحداث وتتصاعد بشكلٍ كبير بغضون ساعة.

علينا حتى ذلك الحين يا سيد ميري ويذر أن نُطفئ ضوء هذا القنديل.

- ونجلس في الظّلام؟

- أخشى أنّه لا خيار لدينا سوى هذا...

لقد بلغتْ مخطّطات خصومنا مرحلةً متقدِّمة جداً لا تسمح لنا باستخدام الضوء، فيما نحن مقبلون عليه.

علينا أن نتمركز في أماكن محدّدة، فهم رجال شجعان وأقوياء، حتى لو كنا في موقع القوة كوننا مع الحق. لكنّهم قد يؤذونا إذا لم نكن حذرين.

أنا سأقف خلف هذا الصندوق.

أمّا أنت فخلف هذا.

وحالما أُسلِّط الضَّوء عليهم، هاجموهم بقوّة ولا تتردَّد يا واطسون بإطلاق النّار إذا هم بإطلاق النار عليك أو علينا.

أخفى هولمز نور القنديل، فغرقنا في ظلامٍ دامس لم أشهد مثله في حياتي.

بعد ذلك همس هولمز: ليس هناك سوى مخرج واحد عبر المنزل إلى ميدان ساكس كوبروغ، وعليهم أن يسلكوه بشكلٍ إجباري.

أتمنّى أن تكون قد نفَّذتَ ما طلبْتُهُ منك ياجونز.

هل فعلت؟

- نعم، لقد وضعتُ مفتِّشاً وضابطين أمام المدخل.

- وهكذا نكون قد أغلقنا كل المنافذ عليهم. لم يعد أمامنا سوى التزام الصّمت فيما ننتظرهم.

مر الوقت بطيئاً جدّاً في الانتظار، وأدركتُ لاحقاً أنّه لم يمضِ سوى ساعة وربع، رغم إحساسي بمرور وقت طويل، وأنّ اللّيل قد انتهى وبدأ الفجر يبزغ.

كان جسمي يؤلمني من الانتظار طويلاً في نفس المكان دون راحة ولأنّ أعصابي كانت مشدودة ومتنبه إلى أقصى الحدود لدرجة كنت أسمع صوت تنفُّس زملائي. فجأة لمحتْ عيناي بريق ضوء.

لم يكن في البداية سوى بريق متوهِّج انعكس ضوؤه على الأرض الحجريّة، ثمَّ استطال إلى أن أصبح خطّاً أصفر. بعد ذلك انفتحت فجوة في الجدار، وظهرت وسط هالة النور يدٌ بيضاء تشبه يد المرأة، ثم ما لبثت أن اختفت بالسرعة التي ظهرت فيها، وعادت الظلمة لتلف المكان، باستثناء البريق المتوهِّج الذي يكشف الشّرخ بين أحجار الحائط.

إلا أنّ اليد لم تختفِ كثيراً، إذ سرعان ما برز وجه صبياني بشكلٍ واضح تماماً.

وقف بجانب الفتحة وتبعه زميلٌ آخر رشيق وقصير القامة مثله.

كان وجهه شاحباً ولون شعره أحمر!

همس بصوتٍ خافت: إنَّ كل شيء على ما يرام.

هل جلبتَ أداة الحفر والأكياس معك؟

حسناً هيا يا سكوت اقفز، وأنت كذلك يا أركي وسأتولّى أنا الباقي.



عندهـا قفـز هولمز مـن مكانه وأمسـك أحد المتسـلِّلين من عنقه، فيما قفز الآخر فارّاً عبر الفجوة.

وفجـأة لمـع ضـوء ماسـورة مُسـدس مُشـهّر، لكـنّ هولمز سـارع إلى الإمسـاك بمقبـض الرّجـل الـذي يحملـه، وأوقـع المسدّس على الأرض الحجرية.

وقـال هولـمز بصـوتٍ لطيـف سـاخر: لا جـدوى مـن المقاومة يا جون كلاي.

لقد قُضي عليك...

أجاب جـون ببرود وسـخرية مماثلة: هـذا صحيح. أعتقد أنّ زميلي بخير.

قال هولمز: هناك ثلاثة رجال بانتظاره عند الباب.

- حقاً!

يبـدو لي أنّـك أحسـنتَ تنظيـم الأمـر عـلى أحسـن وجه. أهنئك على ذلك.

- وأنـا أيضـاً. ففكرتُـك حـول أصحـاب الشـعر الأحمر، فكرة ممتازة ومبتكرة وفعّالة جدّاً.

وأضاف: سوف ترى زميلك مجدّداً، لكن عليَّ أن أُقيِّدُك أولاً.

وقال سجيننا فيما كان هولمز يطبق بالأصفاد على معصميه: أرجوك!

لا تلمسني بيديك القذرتين.

لعلَّك تعرف أنّ دماً ملكيّاً يسري في عروقي.

وأرجو أن تخاطبني باستخدام كلمة (سيِّدي) وتستخدم عبارة (من فضلك) عندما تخاطبني.

أجاب هولمز متعجِّباً بعد أن ضحكة نصف ضحكة مكبوتة: حسناً، هلا تفضلت يا سيِّدي بارتقاء السَّلالم كي نجد عربة تقل سموك إلى السجن؟

أجاب جونز كلاي بهدوء: هكذا أفضل.

وفيما كنا نتبعهم إلى القبو، قال السيد ميري ويذر: في الواقع يا سيد هولمز، لا أعرف كيف يمكن للمصرف أن يشكرك أو يكافئك.

لا شك أنّك اكتشفت وأحبطتَ بشكلٍ رائعٍ واحدةٌ

من أخطر محاولات السطو التي عرفتها في حياتي.

أجاب هولمز: هناك حساب بيني وبين السّيد جون كلاي وكان يجب أن أُصفّي ذلك الحساب.

لقد دفعتُ مقابل بعض الأمور مبلغاً طفيفاً من المال أتوقّع أن يقوم المصرف بتسديده.

وباستثناء ذلك، فإنَّ مكافأتي الكبرى هي خوضي لهذه التجربة الفريدة لعدة أسباب، أهمها حصولي على معلومات ثمينة عن عصبة أو زمرة ذوي الشّعر الأحمر.

وبعد مضي فترة على انتهاء الموضوع، جلستُ مع هولمز نتناول الفطور في مسكنه في شارع بيكر، فقال لي شارحاً ماحدث: كان واضحاً يا واطسون منذ البداية أنَّ الهدف الوحيد المعقول لقصة الإعلان الخدعة حول أصحاب الشعر الأحمر لم يكن يهدف سوى إلى إبعاد السيِّد ويلسون المرابي عن مكان عمله لفترةٍ محدّدة يوميّاً، وذلك عبر إلهائه بنسخ الموسوعة البريطانية.

كانت طريقة غريبة لكنّها كانت خطّة ممتازة لإدارة الأمر.

ولا شك أنّ عبقرية جونز كلاي هي التي أنتجت هذه الفكرة نظراً إلى لون شعر ويلسون الذي كان قد وظَّفه عنده كمعاون قَبِل بالأجر الزّهيد الذي كان يعرضه.

أمّا قصة الأربع باوندات فقد كانت الطعم لاجتذاب ويلسون الطّماع، لكن من يمكن أن يقارن أربع باوندات بآلاف التي سيجنيانها لاحقاً جونز كلاي وشريكه الآخر؟!

وحالما سمعت أنّ المعاون قَبِل الوظيفة لدى ويلسون بنصف الأجر، أدركتُ أنّ لديه سبباً قوياً وحافزاً يدفعه لذلك وهو ضبط الوضع أمنياً.

- لكن كيف عرفت ما هو الحافز تحديداً؟

- لو كان بالمنزل امرأة لظننتُ أنَّ القضيّة من نوعٍ آخر. لكن الحال لم يكن كذلك.

والرَّجل، أي ويلسون، يدير عملاً متواضعاً ولا يوجد في المنزل ما يُغري بالسرقة، كما لا يوجد فيه شيء يستحق المغامرة من أجل دخوله والبقاء فيه.

إذن لا بد أنّ ما يبغيه المعاون كان شيئاً خارج المنزل،

لكنّه متعلّق به بشكلٍ ما...

فماذا كان يا تُرى؟

ولم يخطر ببالي سوى شيء واحد وهو أنّه أي المعاون سيستخدم منزل ويلسون ليحفر فيه نفقاً يؤدي إلى بناء آخر قريب.

وعندما قرعتُ الباب لأراه، رأيت ما أردت التّأكد منه وهو أثر التراب وأعمال الحفر على ركبتي بنطاله.

لقد كان يحفر نفقاً ويجثو على ركبتيه فيما يحفر أي يحفر في الأرض.

لا شك أنّك لاحظتَ مثلي كما كانتا مجعّدتين ومتّسختين في إشارةٍ واضحةٍ إلى طول فترة الحفر.

ولم يبقَ سوى أن أعرف إلى أين سيؤدي النفق الذي يحفره..

فاتَّجهتُ إلى زاوية الشّارع أستطلع ما حولها، وإذ تقع عيناي على وسط المدينة ومصرف سابورين المتاخم لمقر عمل ويلسون ومعاونه القنوع!

عندها انكشف كل الغموض الذي يحيط بالمسألة.

سألته مستوضحاً: وكيف توقَّعتَ توقيت العملية؟

- إغلاق مقر العصبة كدليل على عدم أهمية وجود السيد جابيز ويلسون، وبعبارةٍ أخرى لقد انتهيا من حفر النَّفق.

إضافةً إلى أنَّ يوم السبت يناسبهما كأفضل توقيت لأنَّه يمنحهما يومين للفرار، كونه والأحد عطلة أسبوعية.

لكل هذه الأسباب مجتمعةً توقَّعتُ مجيئهما اللَّيلة لتنفيذ السَّرقة.

فقلتُ له وأنا مندهش بهذه العبقرية الفذّة: يا له من تحليل ممتاز.

إنّها سلسلة أحداث طويلة ومعقّدة، لكن تبدو كل حلقة فيها في مكانها الصّحيح تماماً.

أجاب: لقد أنقذَتْني هذه القضية من الملل الذي يُحاصرني.

- كما أبرزتْكَ كرجل خيرٍ يُقدِّم الخير ويحمي الجنس

البشري أيضاً.

هزَّ كتفيه بتواضعٍ وأجاب: ربَّما كنتُ ذا فائدةٍ معيّنةٍ، فالإنسان لا يساويه شيء آخر، إنّما عمله هو كل شيء على حد تعبير غوستاف فلوبير وجورج ساند.

• انتهى •